

من أدب حركة المقاومة الشعبية في القسم الآخر من فلسطين

تجربوها . والثانية هي قصة انسانية واقعية لحصنها بحلة «صوت الطلبة» من كتاب «تحت جبال المقاتلين» الذي كتبه في اقية الفستابو المنلري رجل من حملة لواء الفكر والثقافة والنضال التحرري في تشكوسلوفاكيا قبل الحرب ، وبطل من أبطال المقاومة السرية ضد الاحتلال النازي ، وشهد من الوف الشداء الذين قضوا في سبيل تحرير اوطانهم وتحرير الانسانية من لعنة الفاشستية على اختلاف اشكالها ومصادرها ، هو : يوليوس فوتشيك . اث اختيار بحلة «صوت الطلبة» لهذا الكتاب هو اختيار عميق المعاني ، فان نضال رفاقنا في القسم الآخر ضد الاحتلال الانجلو - هاشمي يشبه كثيراً نضال حركة المقاومة السرية في اوروبا اثناء الحرب العالمية الثانية ضد المحتلين الفاشست . ونضال رفاقنا في القسم الآخر سيتطور ايضاً كما تطور النضال في تشكوسلوفاكيا وغيرها : الى النصر ...

نقدم الى القارئ ، في هدية الاتحاد لهذا الشهر ، مراجعة للعبة الأدبية الشهرية السرية التي تصورها هبة التحرر الوطني في القسم الآخر من فلسطين . اسم هذه المجلة هو « صوت الطلبة » . وهي تطبع على « السنانيل » ويخط اليد ايضاً . ان وسائل للطباعة الحديثة هي في متناول المستعمر البريطاني واجيرء عبد الله ، ولكن قلوب الشعب هي مع قادة الحرية المدافعين عن الشرف القومي . ارث اعداد هذه المجلة الادبية المتواضعة تنتقل من يد الى يد في القسم الآخر من فلسطين على الرغم من كل بوليس ابو حنك وسجونه المفتحة . انها « الشراة » كما قال لينين العظيم « ومن الشراة سندلم الحب » .

وسنقدم الآن من هذه المجلة قطعتان . الأولى هي افتتاحية العدد الأول . هنا الذي صدر في كانون الثاني الماضي ، وهذه الافتتاحية ، بالإضافة الى أنها تحفة أدبية رائعة ، تعبر عن أهداف المجلة وعن الروح النضالية العالية التي توجه الأقلام التي

هو شريف في هذا العالم، انه يحضر لحرب عالمية جديدة كآخر وسيلة له قبل أن ينقذ. ولكن قبضات الشعوب التي تبلغ مئات الملايين، تلك الغضات الفولاذية الجارية الضمومة إلى بعضها البعض تنقش على رأسه ولن تتركه حتى يذهب إلى غير رحمة.

أن الشعوب المناهضة أقوى من المستعمرين
الوحوش ، فالحق والقوة معاً أصبحا في جانب
الشعوب ، فقد تقرر هذا عام ١٩١٧ في ثورة
الكتوبر للكرمي. إن الاتحاد السوفياتي العظيم يقوي
أخبار يقف في طليعة هذه الثلاثين من الملايين
من الشعوب التي تحتك الحق. إن الحق والقوة
التي جانب شعبنا أيضاً ، ولذا فمن يستطيع
للمستعمرين وخدمهم وكلامهم أن نعلموا شعبنا
من التعبير والاعتناء .

هَذَا هُوَ «صَوْتُ الطَّائِفَةِ» ، وَهُوَ
بَدَأَ الْيَوْمَ صَغِيرًا . فَهُوَ سَيَكْبُرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ
مُجَاهِدًا شَجَاعًا الَّتِي تَشَقُّ حُرْفُهَا نَحْوَ «تَوْر» ،
نَحْوَ «تَعْرُور» وَالْإِثْقَاءِ . إِنَّهُ صَوْتُ مَجَاهِدِينَ
يُكَادُونَ الْوَاعِمَةَ الَّتِي تَسِيرُ جُنْبًا إِلَى جَنْبِ مَعَ
مَنَاتِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الشُّعُوبِ الْمُنْتَظِمَةِ فِي الْمُسْكِرِ
الْديمِقْرَاطِي وَالتَّوَادُدِ الْإِسْتِمْرَارِ وَطَيْفَتِهِ الْإِتِّحَادِ
السُّوْقَاتِي الْعَظِيمِ حَمَلِنَ الْحُرِيَّةِ وَالسَّلَامِ .

أن صوتنا الآن صغير ولكنه سيرتفع
وسيرتفع عالياً ، لأنه صوت الجاهل السكادحة ،
صوت الحرية ، صوت الناضجين من أجل السلم .
كلنا نثق بأن شعبنا سينتصر وسيخرج
من تحت الأذى ومن وسط السكارة ليبي
يحتضنه أخيراً .

أن شعبنا مع مئات الملايين من الشعوب
بقيادة الاتحاد السوفياتي العظيم أقوى وأشد
من المستعمرين المجرمين الوحوش .

التصميم للشعب المناضل وفي طليعتها
الاتحاد السوفياتي العظيم .

والله اعلم
واعوانهم -

افتتاحية العدد الاول من «صوت الطبيعة»

الشعب العارية اجسامه المريض الجائع
أقوى من العلوج بدباباتهم وسجونهم.

ترتعد فرائصهم من الشغب الأعزل ، هذا
 الشعب الذي يستر في الكهوف والطور وفي
 الجبال الممطرة جسمه للنجاة العارية أطالفة
 الرية ، إن هذا الشعب يقض مضاجعه ويثير
 غضبه حتى الموت ؛ وإلا فله هذه السموات
 والتي وهذه السباط بأيدي جندم يلهون بها
 صبور فلاح ولعامل ؟ وإلا علام تحبهم هذه
 السموات العظيمة التي يصرها نضويديون
 فيمردون وتور آثارهم عندما يحدو بها
 مفاة في الشرق أو مصفحة على الخسائر ويصبح
 بوليسه كالحوم يقتل أبناء الشعب وزججه في
 السموات وتكمل مهالآه وحده في جيوه
 غيرة صخرة .

أَرَأَيْتَ يَا أَخِي ، أَنَّ الْعَمَلِ الْعَارِضَةَ
أَحْمَدَهُ ، الشَّاحِحَ وَجْوهَهُ ، الْمَرِيضَ أَحْمَدَهُ
الْأَعْزَلَ ، هُوَ أَقْوَى مِنْ أَوْلَئِكَ الْمَلُوحِ بِدِيَابِهِمْ
وَمُتَّارِهِمْ وَجَبْهَتِهِمْ وَسُجُوتِهِمْ ؟

هكذا كان الأمر في روسيا القيصرية قبل
الانكسار من الثلاث عام، وهكذا كان الأمر في
صين قبل بضعة أعوام، وهكذا هو اليوم في
فرنسا وبنسبانيا في غرب و في برما والملايو
وقبيلهم والاندونيسيا في الشرق، وهكذا هو
هنا أيضا في فلسطين الصغيرة، وفي مصر والترك
وسورية، وفي كل مكان يسيطر عليه المستعمرون
وأعدائهم. إن الوحش الاستعماري يحس
بأنه يركن بشعر من فوق رأسه ومن تحت قدميه،
لا يجرى ما يصح ولا أين يضرب، فلماذا كله
اليوم صين جديدة. إن هذا الوحش الاستعماري
للأشعث الجاحق في احتياجه، أنه في مرحلة التزع
الآخر، ولهذا أراد بصعب وبصعب هاتجا
عظامه يريد أن تحرب كل ما هو جميل وكل ما

الصغيرة ، في الشرق والغرب ، في أوروبا وأمريكا . لم يسبق في التاريخ أن احتشد هذا العدد الضخم من مئات الملايين من الناس بهذا الشكل ، لأغراض الجوار في معسكر الحربة ولتسديد المستعمرين وكلاهما في كل مكان ، وهذا يسبق في التاريخ أن كان للإنسانية قيادة حكيمة عبقرية كإلهة اليوم بقيادة الاتحاد السوفياتي حصن الحربة والسلام العالم .

بأن قضية لبنان في فلسطين الصغيرة
من أجل التحرر والسلام هي اليوم قضية شمول
العالم بأكمله - نحن وانتم وكل الثقة بأن
الاستقلال للشعب وليس جلاذيتها المحرمين
الاستعماريين وامواتهم الرجعيين ؟ إننا وانتم
بأن شعبنا الصغير هذا سيخرج من بين
الحزب والامانة وبهمن بين الفدوة ولعمري
ليحرر شعبه ويطرد المحتلين الغزاة خدم
الاستعمار الانكسار - امرك ، وبني حياته
أخذتة الائمة به كتمت عنه الحرية والسلام

يألمس نائب الاستعماريون الأغنياء
وكلهم من العرب واليهود ودمروا أبله
الصغير وفسدوا على قلوب بنيهم وولغوا في دماء
مواطينيه التركية، وخرّبوا كل ما بناه شعب
العراق في فلسطين، وشردوا ما ينسوف على
ثلاثة أرباع المليون عربي. ولكن هل
انتهت المسألة؟ هل أصبح أهلك
المجرمون في أمن ومطمان؟ كلا: أخيه
كلا. منهم في حصونه وقلاعهم، وهم في
حصونهم الحكيمة، وتحت إمرتهن الأساطيل
أجوية والبحرية، وبأسلحتهم الجارية وفدتيج
البحريين، وتحت تصرفهم كل وسائل الحماية
والقهر من إذاعات وصحف وكتب وحتى
الكنايس والمساجد، إنهم، وعندهم كل ذلك

افضل امير القاهريه .

هذا هو المدد الاول من عتبات صوت
الطلبة « صدره بهذا الشكل البسيط ونحن
على يقين من أن هذا الشكل سوف لا يثير
استغرابك على الرغم من أن العالم يعيش اليوم
في عصر تطورت فيه الصناعة الى مدى بعيد ،
لانك كالم ابا القاري، اتنا الى جانب تطور العلم
والصناعة ما زال يعيش في ظلي الممجية الاستعمارية ،
هذه الممجية التي تحاول تكبير الامام الاحرار
وتضخيم الفكر الانساني في كل مكان -وهي تخر
العلم والصناعة وكل شيء بحجة العلم التقدمي ،
ولاستغلال بين الانسان ومنهم من تحطيم
قيودهم ليتكبروا من جعل العلم والصناعة وكل
ما في هذا السكون في خدمة الانسانية ووسيلة
... وسائل تقدمية .

ونحن هنا في هذا البلد الصغير نبالو اليوم
ظلم الاستعماريين واضطهادهم ، ونبالو ظلم حديدهم
وأهوائهم ، ولكن هل كان علينا أن نخضع
ونستلم أو نتراسع ؟ كلاها الأخ الكريم ،
ليس هذا من صفاتنا ، إنما نحن شيوعيون
وأنهون تمام الثقة من أن الاستعمار وخسمة من
الرجعية في كل مكان ، على الرغم من حديدهم
ولأرهم وسيطاهم وسجونهم ورجال مشاقهم ،
لأعجز من أن يقفوا أمام مئات الملايين من
الشعوب المضطهدة التي سارت منذ أمد طويل
في طريق التحرر والاعتناق .

أن المستعمرين اليوم يرتعدون فرقا لأن
الشعوب في كل مكان قد صمدت على أسير
الاستعمارين والتخلص منهم إلى الأبد . نحن
شعب صغير ولا شك، ولكنه لا يسير وحده
في هذه الحركة الفاصلة ، أننا نسير جنباً إلى جنب
مع مئات الملايين من الشعوب المنتظمة في العسكر
الديمقراطي والمهادي الاستعمار وعلينته الأخاد
السوفياتي حصن الحرية والسلام . أننا نسير تحت
لواءه من أجل الحرية والسلام لجميع شعوب
العالم . هذا الشعار الذي تنصوي تحته مئات
ومئات الملايين من الصن العسكرية إلى اثباتنا

أديب ولبيب وناقرومناضل ديمقراطي

ولد يوليوس فونتشيك في ٢٣ شباط ١٩٠٣ في براغ، وكان صحفياً ومؤلفاً وناقداً أدبياً وقائداً من قادة النضال الديمقراطي. وكان أبوه عاملاً في مصانع الفولاذ.

بدأ فونتشيك نشاطه في حركة الطلبة العامة وفي الحقل الثقافي في تشيكوسلوفاكيا في النصف الأول من العقد الثاني من عمره، وقد درس الأدب والموسيقى والفن في جامعة براغ. واشتغل عاملاً بسيطاً يكتب قوته اليومية بمرق جيبه. انضم إلى الحزب الشيوعي. وكتب في عدة مجلات اشتراكية وأصبح قائداً بارزاً، منذ أحداثه، في منظمة الطلاب الشيوعية، وفي عام ١٩٢٩ أصبح المحرر المسؤول للجريدة «تفوريه» التي أصبحت بقبائمه الصحيحة، مجلة سياسية وثقافية واسعة النفوذ. وأصبح بعدها محرراً لجريدة «رودي براغو» لسان حال الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي.

وفونتشيك مؤلفات كثيرة في الأدب والسياسة، ما عدا مقالاته الصحفية وديبورتاجاته في الصحف والمجلات. زار الاتحاد السوفياتي مرتين ونقل مشاهداته إلى مواطنيه كمراسل ومحاضر ومحرر. وملائات نفسه بدائع النظام الاشتراكي الجديد ومدهشاته. ومن أدوع ما أنتجه قلبه كتابه عن الاتحاد السوفياتي الذي عنوانه «حيث أصبح الغدا أمس». لقد قتل الطفلة فونتشيك إلا أن المستقبل الذي ناضل في سبيله قد أصبح حقيقة واقعة في وطنه تشيكوسلوفاكيا. وفي مكتبته من جاراتها الأوروبية.

التضال المرن

ثم كانت مؤامرة ميونيخ، فاحتلت ألمانيا تشيكوسلوفاكيا، فاضطر الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي إلى أن يتابع نشاطه سرا، واضطر فونتشيك إلى الاختفاء والانصراف إلى القيا بدراست هاركية، وإلى تقوية وتوجيه التنظيم السري للحزب، وإيجاد مكان سري للجنة المركزية. وقد استطاع، بمساعدة بعض الرفاق أن ينشر الجريدة السرية للحزب «رودي براغو» ونشرات أخرى.

وقد اتقى الفستابو القبض عليه في ربيع سنة ١٩٤٤ وأمنوا فيه تعذيباً وتشكيلاً ليدلي بمعلوماته عن منظمات الحزب السرية، ولكنه كان جباراً في بطولته، راثماً في ثباته، فلم يستطع الفستابو أن ينال منه كلمة واحدة. واشرف فونتشيك مراراً على الملاك من هول التعذيب ووحشيته. ولكنه بقي حياً كما يتحدى حتى الموت.

ولما لم ينالوا منه كلمة واحدة لفظوا حكمهم عليه بالإعدام فأعدم في عام ١٩٤٣ بعد أن قضى سنة في السجن وسن السلة، كانت كلها سلسلة متصلة من التعذيب والتشكيل دون أن يكمل أو تخور له عزيمته.

وقد كتب فونتشيك وهو في سجنه كتابه الممنون: «تحت جبال المناق»، حكته على قصاصات من الورق متفرقة، بمعرفة حارس تشيك في سجن الفستابو بانكرانس - براغ (حيث كان فونتشيك مسجوناً)، وجعلها بعد الحرب، امرأة فونتشيك، التي كانت هي أيضاً معتقة في مكان ما، ونجت مع من أنجوا من الدين. يتسن الوقت الكافي لأبادتهم.

وكان فونتشيك على يقين من أنه لن يبش حتى يتم هذه السلسلة من الرسائل، ولكنه كان على ثقة بالنصر قوية بحيث كان مطمئناً إلى أن نهاية كتابه السعيدة سيكتبها الملايين من مواطنيه ومن الناضلين لأفانشية في البلاد الأخرى.

في أفيبة الفستابو

— أربطوه وتربطوه ضرباً. — تكلم، تكلم، قل، ما أملك؟ تكلم قل؟ بمن كنت تتصل. وما هي عناوينهم؟ أين المنظمة ومن يطبع الجريدة؟ لم يكن فونتشيك يسمع من المستبدين إلا هذه الكلمات، وتهاول مدهشاته التقال عليه. لقد أخذ يدها أوّل الأمر: واحدة، ثتان، ثلاث... ولكنه عاد فدخل عن ذلك قائلاً لنفسه: لا يوجد أي مكان يضم هذا الإحصاءات.

مضت ساعتان لم يكن يسمع فيها غير وقع العصي على جسمه، ثم يدخل ضابط في الفستابو ويقول: «كل شيء على ما يرام يا حضرة المحرر المسؤول...»

فبعت فونتشيك ويحل صامتاً ولكنه يفكر: من أجبه؟ يملك؟ وتذهب ظنونه إلى أهل البيت الذي اعتقل فيه: آل جيلينيك،... آل فريد... ولكن هؤلاء لا يعرفون اسمي. ويتابع الضابط: ألا ترى أننا نعرف كل شيء؟ تكلم إذن ولكن متقلاً! وفي قاموسهم الخاص أن تكون متقلاً يعني أن تكون حائثاً. ولكنني إن أكون متقلاً! «إن الالم الوحيد الذي أشعر به بتمركز في شفتي النافرئين لكثرة عض أساني عليها» — اخلوا حذاه...

لقد خدر كل جسمه من شدة الضرب، فليس يشعر بألم، وإن كان يسمع وقع الضربات. لكن قدميه لم تضربا بعد، لذلك

أحسن بالضربات الأولى «كانها توجه مباشرة إلى دماغه» «تكلم! تكلم!» لقد أصبح في شبه غيبوبة، لكنه يلزم الصمت أبداً.

«أني أحاول أن أعد بلساني الإنسان التي اقتلعتها ضرباتهم، اثنا عشر، خمسة عشر، سبعة عشر... لا... إن هذا عدد الضباط الذين يحاولون استنفاقي وقد ظهرت على بعضهم دلائل التعب. إلا أن الموت لم يأت بعد...»

«الساعة الثالثة. الفجر يتحرك الآن في الأرياف. المزارعون يتوجهون إلى المدينة يحضارهم وفاسكتهم. ويبدأ الكتانسون عملهم. هل يقدر لي أن أرى فجر يوم آخر؟»

«ها هم يحضرون زوجتي. هل تعرفه؟» «أبنتك الهم حالا من حول شفتي حتى لا تراه... ولكن بالخوف! إن الهم يترق من كل بوصة من جسمي حتى رؤوس أصابعي.»

— «هل تعرفه؟»

— «لا، لا أعرفه»

«قالت مون إن تبدو منها حتى ولا إشارة حنين، ثم عن رعبها، بأنها من جوهرة! لقد حفظت عهداً، أن لا تعترف لي بأمرهم من أن هذا لم يبق ضرورياً الآن، ومن الذي أعطاه اسمي؟»

وعاد فونتشيك يستعرض أسماء الأشخاص الذين اتصل بهم، وأصحاب البيوت التي زارها. ولم يحظر بباله قط رفيقه الدائم ومعاونته ميريك.

«صمت الساعات: الخامسة، السادسة، السابعة، العاشرة، قبل الظهر، الآن يجتمع الرجال على مقاعدهم لفداء.»

«دخل لي تفكيري في هذه اللحظة، ترى، هل علم الرفاق باعتقالي وأخذوا الخطوة الأخيرة، وماذا يحدث أو تكلمت؟ لا... لن أتكلم أبداً الرفاق، ونستطيعون الاعتماد على حقاً!»

«الضربات تشتد، وتشتد، ثم ينضمون وجوههم بإلهام لكي اصبحوا أعماقهم. ويزداد الكلام حتى يصبح صراخاً شديداً.»

«تكلم! قل! تكلم!»

«الساعة الخامسة بعد الظهر. لقد نال منهم الأعياء، فالضربات تقل، وتطول المسافة بينها.»

ومن بعد سمحت صوتاً: «يكفيه ما ناله حتى الآن.» «وبعد فترة جلست إلى مائدة، فإذا بها تشتد عني ثم تنهد إلى. وهذا

يوليوس

«تحت جبال المناق»

من روائع أد

أحدهم يعطيني بعض الماء. وآخر يقدم لي لقافة من التبغ لم استطع وضعها في فمي. ثم أخرجت نصف محول إلى السيارة. بينما نزل أحدهم مشيراً مسدده في وجهي وقد اضحكني ذلك وأثار استغرابي. فأ الحاجة إليه الآن وأنا في هذه الحالة؟

ومررتنا بسيارة مظففة بالزهور البيضاء. إن هذا حلم، بل حلم محوم بلا ريب. إن هو الاحتضار، لا، بل الموت بعينه!

ولكن الموت سم، وهذا عين بل ليس بلهين ولا بالصعب!

«هل مت يا ترى؟ لا، لم أمت بعد. ها أنا ذا أقف مرة أخرى، ودون مساعدة

أمام وجهي جدار قذر أسفر مظهر... ثمأذا؟ بالدم... هكذا يظهر... ثم هو دم... ها أنا أرفع يدي، وأصبح بأصبعي

أطعته منه، فإذا به دم أزج... هو دمي... ووضعتني أحدهم من خلف وامرني

أن أرفع يدي، وأجلس القرفصاء، ثم أقف ثم أجلس، ثم وقفت ولم استطع

الهبوط. «أخذ رجل الفستابو يركلي بجذائه لأقف. ولكن بدون جدوى

وهذا آخر بضل وجهي.» «ها أنا ذا أجلس إلى طاولة. وإذا بامرأة تقدم لي

بعض الدواة وتسال عن أشد المواطن المأ في جسمي.

«اعتقد أن كل الالم متمركز في قلبي.» — «ليس لك قلب»، قال أحد

رجال الفستابو. — «بلى، إن عندي قلباً» قلت

هذا وأنا فخور بأنه ما زال لدي من القوة ما استطع به الدفاع عن قلبي.

«ثم توارد كل شيء. الرجل والحداد والمرء والدواء.

«وبعد أن عاد إلى «وأي، فتح باب الزرارة وقذف بي إلى الداخل، رجل ضخم الجثة، وترع ما بقي من قيمتي،

والقاني على كومة من القش، أخذ يتلس أجزاء جسمي المتورمة وطلب احضار

المصاب.

ثم قال يخاطب رجلاً آخر، مشيراً إلى جسمي: «انظر هذا العمل التقن الذي يقومون به.»

«وبلغ أذني صوت من مسافة يقول بشيء من الرقة: «إنه لن يبش حتى الصباح.»

الفتحة وهي ترسل نشيد « الجيش الأحمر » صفواً طلياً ، وأتبعته بنشيد الانصار وأغان سوفياتية أخرى .

« والرجل في لباس البوليس التشيكي الذي أحضر لي اللحم والورق واقف أمام زنزانتي ليبتني أثناء سحباتي عنه مفاجأة مغلظة . والحارس التشيكي الآخر الذي ينقل الأوراق ليحبسها حتى يهين الوقت للناسب لطعام ، سيدفع رأسه تحتاً للقطعة من الورق ، في سبيل بناء جسر من الورق بين اليتم ، وخلف القضبان الحديدية ، وبينه الله وفي عهد الحرية .

« أنهم جميعاً يخوضون نفس المعركة ويخوضونها بشجاعة ، حيناً وجدوا وبأبي سلاح استطاعوا الوصول اليه . وبطلون ذلك ببساطة وبدون مبالاة بحيث لا يستطيع أن تعلم بأنها معركة حق الموت . »

الثقة بالمستقبل

كان فورتشيك مؤمناً . مع آمالي قلبه ! بانتصار الحرية . ولم يكن هذا الايمان مبنياً على اوهام القائل لا يمكن ولا يجب أن يعيش على الأكاذيب ، بل على الحقيقة التي ترى بوضوح نهاية الحرب على الوجه الوحيد الذي يمكن أن تنتهي اليه .

كان يصرخ به مستجوبه النازي :

« والا تهم ؟ ان هذه هي النهاية .

لقد خسرت لبتك ؟

فيحييه :

« اني أنا وحدي سأخسر .

« أمارك تعتقد بانتصار الشيوعية ؟

« بكل تأكيد . وهل تكون النتيجة غير هذه ؟ »

لقد كان ايمانه قوياً بإمكانية شيعه

وحربه وبهزيمة للبدعة ومحبوته التي لا يمكن

تخده . « ان الحرب لا يمكن القضاء عليه .

وقد ظهر ذلك بعد كل ضربة وجبت اليه .

فقد حل محل كل عامل القبيح عليه —

ولو كان يبدو أنه لا يعرض — اثنان أو

ثلاثة . »

ولم يكن ينقطع من الفناء في زنازته ،

منذ ان عاد اليه وجهه وأينزانه لم يمت بعد .

« ان زنازته ٢٦٧ (زنازته فورتشيك

ورميه الذي كانت يدعوه بالوالد بتشيك)

تحتي دائماً . لقد انشئت طيبة حياتي ولا أرى

أي سبب يمنعني في آخرها من الانقطاع من

الانشاد .

« لا حياة بدون أغنية ، كما لا حياة

بدون شمس . بل إننا بحاجة مضاعفة الى

الفناء ، لأن الشمس لا تجد منفذا اليها .

فزنزانتنا تراجع الضياء . ونمر أشعة الشمس

بجاذبية قضبان النافذة تكاد لا تمسها الا في

أشهر الصيف عند الغروب ولمدة دقائق معدودات

« الشمس ! الا ما أكرمها عندما

ترسل أشعتها . وما أكثر الطعيرات التي تقوم

بها امام أعين البشر . بيد أن القليل منهم

من يعيش في ضوء الشمس الباهر . لا شك

أنها تنضي . ثانية وستضي لنا جيئاً يوماً ما .

وعندما تتسكن جيئاً من الحياة في النور .

ولكن يودي لو أهرق شيئاً قليل الاهمية

نسياً : أضيء لنا النور ، نحن الاثنين ،

مرة أخرى . »

(البقية على الصفحة الرابعة)

النار

اسمع اليه يصف كيف كان ذلك :

« في الجزء الأسفل امام نافذتي

ركعت النساء السجنيات ، استعداداً

للتهنئة اليومية . قصدت على طاولة لأراقبن

عليهن ينظرون الي . وقد رايتني فعلاً ورفسن

قبضتهن للقفله بالنجاة مرة تلو الأخرى .

لقد دبت الحياة في الساحة الشاغرة أكثر

من أي يوم مضى . انه اول ايار .

« وبعد هذا جاء دورنا . وكان علمي

ان اقود الفريق .

« انه الاول من ايار ايها الشباب .

فدعونا بدأ بشيء جديد غير مجهول لورقة

الحارس او عديمها .

« التمرين الاول — الضرب بالطرقة :

واحد اثنان ، واحد ، اثنان . يتلوهم حصاد

القمح . الطريقة والمنهج . قد بدأ الرجال

يفهمون مغزى التمرين ، فرت على شفاههم

إتسامة عريضة ، وتابعوا التمرين بنشاط

وحوية .

« هذه هي مظهرتنا بمناسبة اول

ايار ، ايها الرفاق . وهذه الاشارات التي

مثلناها هي قسمنا في الاول من ايار على

ان نقف بثبات وصلابة ، حتى نعلن الذين

نسير الى الموت . وعدنا الى الزنازات في

الساعة التاسعة . وفي هذا الوقت تملن

ساعة الصكرملين الضخمة دقائقها العشرة ،

وعندها يبدأ الاستعراض بعبور الساحة

الحراء . تمل ايها الرفيق . انهم يشدون ،

هناك نشيد الاممية . ان نشيد الاممية يصدر

في جميع ارجاء العالم اليوم . فدعهم يصدر

في زنازتنا ايضاً . وهكذا انشدنا نشيد

الاممية واتبعوا بأغان ثورية أخرى . اننا

لا نريد ان نكون وحيدين — ونحن لسنا

وحيدين . اننا ننتمي الى اولئك الذين

يتجرأون على الانتشار بشجاعة وحرية —

في جميع العالم . وهم في الحركة ونحن

ايضاً . »

« أجل : لقد كانت الاشياء بسيطة

جدا هذا اليوم . فليست هناك أمواج غاضبة

من الظاهرين في ساحات براغ ، كما في

السنين الماضية ، ولا ذاك البحر الزاخر

بالملايين في الساحة الحراء في موسكو . بل لم

يكن هناك الا الوف ولا مئات بل قبضة من

الرفاق . ومع ذلك فأنت تشعر (في السجن)

بأن هذا الاحتفال لا يقل أهمية . فهو

استعراض لقوى جديدة تمتاز أعنف مراحل

النضال ، خلافاً نار مشرقة ، فلا تحرق

وتحول وماء ، بل تخرج من النار كالفلواذ

الصلب ! هو استعراض في ساحة للمركبة ونحن

في ثياب النضال .

« وفي أشك أن يكون في استطاعة

من لم يجرؤ في آمون للمركبة أن يجرؤ هذا

الحقت الكبير . »

« الحقيقة هي أن قوة جديدة وصلابة

جديدة تتفان هنا !

« ولكن لم يمكن مندمي الحافنة

فالحاجة لسجن النساء أغنت تسير في الساحة

وطه الى هذا الصير .

قد يكون سبب وجودي في هذه

الزنازات هو لاني توقفت المواقب البسة

التي ستجرها على الامة التشيكية البسابة

المهدامة التي اتبها السياسيون عندنا .

« ان امي تصلب الآن امام عيني ،

والحراس الالمان يتتبعون امام زنازاتي .

وفي مكان آخر تتجمع الخيوط لتحوك خيابة

جديدة . كم من القرون يحتاج الانسان

ليفتح عينيه ويرى بوضوح ؟ وكم من آلاف

الزنازات اقيمت في طريق التقدم ؟ وكم

يجب ان تتعذب الانسانية ؟ بالله ! اليس

لطريق التحرر نهاية ؟ غير ان الانسان قد

استيقظ اخيراً ... اجل لقد استيقظ ! »

لم يكن فورتشيك يفكر في شيء .

الا في رفاقه ، وفي حزنه وشعبه ، وفي القضية

العامة النبيلة التي نذر لها نفسه . حتى في

اللمحة التي اعتقل فيها ، ففكر ، ووضع

مصلحة رفاقه . اي مصلحة حزبه . فوق

كل شيء . لما اقتحم رجال الفستابو البيت

الذي كان فيه « كان هو وراء الباب ، فلم

يروء ، وكان بإمكانه ان يطلق عليهم النار .

ولكنه فكر بأن رجال الفستابو قسمة ،

وبما كانهم ان يفرغوا مسدساتهم عند اول

طلقة في رؤوس خمسة رفاق كانوا في البيت

وهؤلاء الرفاق لا يهددهم خطر شديد .

فقد يقعون في السجن ستة اشهر او سنة .

ثم يخرجون . « فإذا أطلقت الرصاص

فلن اتخذ احداً من التعذيب الا لقصي ،

الا انني اضحي عندئذ بحياة خمسة رفاق »

« وليس سوى ميريك وأنا نحن يعرفون

اشياء كثيرة عن الحزب ، أما أنا فلن

اتكلم . اما ميريك ؟ فهو ايضاً لن يتكلم .

لقد كاف في اسبانيا وقتل الى جانب

الجمهوريين ضد فرانكو . وقد سجن

مراراً ، فهو جريء وصلب . »

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فلم نفسه .

فورتشيك

«المشائق»...

النضال للحرية

الاعضاء

ومرت ساعات وايام وفورتشيك ملقى

في الزنازات بين الموت والحياة ، حتى ان

السجينين الآخرين الذين يقامانه الزنازات

نظروا مراراً انه فارق الحياة ، فأخذوا يجزانه

بترانيم الموت . ولكن في فقرات متقطعة

كان وجهه يهده اليه ، يضع لحظات ، فيفتح

عينيه كمن يصحو من حلم عميق ، ويسمع

بأذنيه انغام جنازته ، ويرى الرجلين يطوفان

حوله ، دون ان يستطيع حراكاً او كلاماً .

ثم يعاوده الشعور بالالم ، فيوقن انه

لا يزال حياً . « فهذا الالم — توام الحياة —

لا يفارقي لحظة واحدة . ولا تخف حذره »

« ويعود رجال الفستابو الى محاولة

استنطاقه . ولكنه لا يستطيع ان يلبس

ثيابه فيأمر رجل الفستابو رفيقه في الزنازات

بوضع ثيابه عليه . ولا يستطيع الوقوف

والسير ، فيضونه على عمل ، ويصعدون به

الى مكتب الشرطة في السجن . ويرتفع

صوت غاضب ساثلاً :

« هل تعرفها ؟ »

« رفعت ذفتي بيدي ، وإذا بي ارى

شابة عريضة الوجه . منتصبة بكبرياء وقد

ارتفعت راسها عالياً ، وانتصبت قائمتها انتصبة

النبل ، لا انتصبة القذعة وقد مالت بعينها

لتحيني .

« لا . لا . لا اعرفها . » هذا هو

جوابه المقرر سلفاً عن كل سؤال .

« واثذكر اني رايتها مرة واحدة »

وهي المرة الثانية . ولن يكون مع

الاسف لقاء ثالث لاشد على يدها واعتها

على شجاعته وابل موقفها هذا . انها زوجة

ارنيست لورنس وقد اعدموها في الايام

الاولى من الحكم الرقي عام ١٩٢٣ .

وتكرر هذه المقابلات بين فورتشيك

وبين المقلين والمعتلات . فيسأل الفستابو

اذا كان يعرفهم او يعرفونه فيتمتع بالصمت

ويتصمون .

وفي كل مرة يناله نصيب من الضرب

والرفس والتعذيب . ويسود الى زنازته فاقد

الوهي او في حالة الاعياء الشديد .

وفي زنازته المظلمة البسة الوطية ،

ما يقتأ ففكره يذهب به الى شعبه ، ويتذكر

السياسة القصيرة النظر الحاططة التي اتبها

حكام تشيكوسلوفاكيا وسامحت في اجمال

الطائر المحترق

ولكن هذا القوي - القليل الاحية بالنسبة اليه - لم يتحقق مع الاسف . قد جين مديك - هذا الحرب للوقوف به - ولم يتك اصحابه أمام القنصل ، وفادى جميع ما يبرف ، فكانت النتيجة أن القى الآلات القبض على مناضلين سريين كثيرين وزجوا بهم في السجون والمعتقلات . ثم انه عرف الألمان بشخصية فوشيك الحقيقية وبوظيفته المهمة في الحرب - وكانوا يحلمون ذلك جيلا تاما - فانهاوا على فوشيك يريدون أن ينقروا هذه معلوماته . ولكنهم اوتطدوا بارادة حديدية لا تقهر .

لقد صور فوشيك بكلمتين وجه الحاشي : أن منظر من خات شجاعة ونسجه أسوأ بكثير من منظر ذلك الذي تكسر جسده وأصبح محطاً لطير من الوقوف .

وإن أولئك الذين يتبعون يستحقون الشفقة حقاً ، فإني تلك الحياة التي سيجعلها والتي استمعت تحتها حياة وفق مناضل .

ويصف فوشيك الذين يذهبون إلى غرفة الاستطاق ، وكيف يمدون منها : « هذا شخص يدخل بينين فاذنين لامتحن ، إلا أنه يمددون أن يجرأ على مقابلة نظراته . لقد ضف وجبت في غرفة الاستطاق لحظة واحدة من الفرد والفرق ، لحظة من تسلط الرغبة في اقتاذ نفسه على عقله ، وهذا يعني أنهم سيفقدون هذا فرانس جديدة . تبدأ حياة مليئة بالتصديب والرحب لأناس خاتم ذلك الرقيق وقدم احدهم لمدور . »

ومن أجل اقتاذ هذه الفرائس الجديدة ، من أجل الابقاء على الرفاق لثاضلين « منها كانوا قبلي الأهمية » ، لم ينفق فوشيك بكمة « أنا لم أصبح حياً حتى . ولن أدنس الجزء الأخير منها . » . يد أن ميريك دس هذا الجزء الأخير من حياته . ولم يكن يجب فوشيك من هذا النصف والتخاؤل ، بيد ياميريك بأقل من اخترازم واستصاره له .

« انه رجل لم يخش الرصاص عندما حارب في اسبانيا ، ولم يخطأ طره واسه ولم يصف عندما مرض لحياة وحشية قاسية في معتقل فرنسا . ولكنه الآن ارتجف وتخاذل أمام النصار التي حملها رجل الستابو ، فغاثا جيماً لينقل نفسه ، إلى من ايمان سطحي وشجاعة زائفة ، تلك التي تهاز وتضلل كماشياً لفرات مدودة . لقد كانت صلباً عندما وجد بين جماعت محاطاً برقائيل يشاركونه آراءه ، كان شجاعاً عندما فكر بهم . ولكنه عندما عزل نفسه عنهم واخذ يفكر بنفسه فقط ، لتخاذل وضف ايمانه وتلاشت شجاعته تماماً ، وخسر كل شيء ، ومن أجل ان ينقل جله شبحي برقائه وافصح الطريق أمام الجبن والحياة . » . لقد قام ان لموت افضل بكثير من تسليم الشيفرة للوجود في غرفة .

« ان الجياد لا تحضر حياته فقط ، فهو قد خان حياً نيلاً غاملاً وسلمه الى اسفل دمو . »

بطولات صامتة

ولكن هذا الجيش النبيل الهائل الذي سلمه هذا الخائن الى الستابو ، كان جميعه وبدون استثناء ، حافطاً له الذي قطعه على نفسه يوم ان انحرف في عمرة النضال في سبيل الحرية . ويذكر لنا فوشيك في كتابه امثلة كثيرة على البطولات التي اظهرها

افراد هذا الجيش النبيل في سجون الستابو وغرف استطاقهم .

وفي رأس هذا الجيش تأتي غوسينا ووجه فوشيك الودودة المحلصة . اعتقلت فور اعتقال زوجها ثم جاء وابيا بداسايح من اعتقالها ، لكي تنقل من ستادوسلايه وقالوا لها : « انفسه بأن يكون متفلاً . وإذا كان لا يفكر بنفسه فاحليه على التفكير بك على الأقل ، ان لديك ساعة تقنيات فيها وجوه القضية . فإذا بيتنا على امراؤنا فستمدان ومياً بالرصاص اليه هذه . »

فرنت اوفستينا الى زوجها بيتنا . وقالت فستابو بكل بساطة : « ايها الضابط ! ان هذا لا يخيفني . بل ان رغبتي الأخيرة والسكبرى هي ان تمدوني عندما تمدونه . »

وكان حب فوشيك وزوجه قدماظم استجاب اشرف ما كان ، لما شهد منها هذا للوقوف الشجاع النبيل . فاجع اليه يصدت منها اليها ، بحب وشرف وأعجاب : « في هذه الية القادوا اوفستينا الحبيبة ، الى بولونيا ، الى الاشغال الشاقة ، الى المستشفيات الى التيلوس ، الى الموت ! ان هذه للذكرا ان تنقني ، ان لم يبق امامي سوى المم ممدودات من العمر ، وسأحاول ان اكتب ما استطعت . »

غير اني لن اكتب اليوم ، قلتي وعقلي كلاهما مليان بنوسيتنا ، تلك الانساة اللينة ، الحية ، والصديقة الوفية .

للماء ينزل للماء وانما افني لها اغنيها الحبيبة اليها ، افني لها اغني اعقاب للزوج الخضر ، ماماً لها انايهم ماركالا اصار من فتاة كوزاكية تانفت في سبيل الحرية الى جانب زوجها ، اروي لها حكاية شجاعتها وكيف لم يستطع احدونها من ساحة الحرب .

يا وفتي الباسية ، اية قوة جبارة تكن في هذا السكان المدير الدقيقة تانفتيه ، انه حنان يتدفق من تبتك العيون الطفولية ؟ ان الفضال للتواصل والفرق المتكرر قد جلا منا مبعث خالين فاشا مقات للرات خلال للرات للشنة ، لحظات مغاوتنا الاولى واتحادنا الاول .

انه ليس واحد ذلك الذي يخلق به قلبانا ، وناس واحد ينبت من صدرنا في لحظات السعادة ، وساعات الفلق .

لقد حملنا معاً سنوات عديدة ، وتواونا كما بين الصديق صديقه . وخلال سنوات طويلة خلقت وقلنا جياً الى جنب في نضال جمل الحياة غنية شيقة . هذه هي غوستينا : حب عظيم وشجاعة لا تقهر .

في وسعهم ان يأخذوا حياتنا ، ليس كذلك يا غوستينا ، ولكنهم ان يستطيعوا ان يمساو حينا وشرقا !

انتم تملين وانما اعلم اننا لن نلغي بعد اليوم ، ولكني رغم هذا ، اسمع صوتك من يمد يقول : الوداع يا حبيبي ، والى اللقاء . الى اللقاء ثانية يا غوستينا .

وهناك « آجيليك » ، هذا الزوجان البسيطان ، القذات لا يوحيان اليك مظاهر البطولة في الاوقات القنادية ، ولكنهم عند اعتقالها وقفاً جيباً الى جنب وقفاً أرتفعت ايديها وشعبت وجوها . أنا عينا الزوجة قد احتاجا للرب عندهما رأيت كيف حطم الفستابو بيتنا النبوي المحبوب في خمس دقائق ، وعند ذلك التفتت الى زوجها سائلة : « وماذا سيجري الآن يا حبيبي ؟ فاجاب بهدوء

وهو وجهه او تأثر : اتنا ذاهبان الى الموت يا ماري . » فلم تخرج ولم تتجمل . وبمركه أيقنة ودية اتركت يدها اليسى وضمت يها على يده امام اخوات للمدسات . فكان من هذه الحركة غرقت متوازية على الوجه . فست . بعدما ونظرت الى الفزاة من اسفل الى اعلى وقالت بجزء وسخرية : « يا لسمك من طرفه ! يا لسمك من طرفه ! ووحوشا . »

« وبعد ساعتين جولهنا من غرفة للستاق قاندة الوهي ، ولكنهم لم يستطيعوا الحصول منها على شيء . ولم يظهر في جيبها اتر لدفع مع طول مدة بقائها في مركز الستابو . » . لقد كتبت في آخر رسالة منها تقول :

« ايها القائد : اخبرهم في الحاجاج ان لا يحزنوا من اجسلي ، ويجب ان لا يرتاع احد لهذا الصبح الذي لقيه . لقد قد بواجبي كصاحة ضناخة ، وسأموت كذلك ايضاً . »

أما ليدنا لثانة الصنعة البريقة ، التي شبت على يدي فوشيك ، فقد احتفلت بعده بشهر . اذ ذكرها ميريك في احوالته امام الستابو ، رغم انها كانت خطيبته وكانت تحب حباً شديداً .

وكانت تعرف اشياء كثيرة ولكنها لم تبيع بكلمة واحدة .

« وحدث ليدنا دخول الحرب في شباط ١٩٤٧ . وفي تلك الية للمكفرة للتجاه عدداً معاً الى البيت . كانت ساعتها على غير عاداتها في كثرة الظلام . ولما بلغنا الحقل القريب من البيت ، وقت فجأة ، وفي السكون السائد حيث كانت تسمع اصوات ذوات الطبع المتناقص ، قالت بهدوء قريب : « اني اعلم ان هذا هو اعم يوم في عمري فانا الآن لا أغض علي . والى الطبع هذا بأن لا اخذكم معها كانت الظروف . »

وقد جرت حوادث كبرى بعد ذلك ولم نتحدثنا قط .

« وبراسطها حافظنا على اتصالنا بالقيادة العليا . وكما كان يحدث ظل في اتصال بالقيادة ، او يتكشف مكانا السري ، كانت ليدنا تتسل بسرعة وتضع كل شيء في نصابه . وكانت تقوم بالهبات الكبرى ، بنفس الروح التي كانت تقوم بها في للهجات الصغرى ، روح للرح والنبهة الا انها كانت شديدة الشعور بالسؤولية . »

« ثابت ليدنا السمل في السجن - اذ ان واجيبا نحو حزبها لم يتغير - واخذت تقوم بعملها بسرعة ودقة وتقان . »

« فكانت ليدنا اذا وجدت من الضروري تصحيح بعض الامور لا تقاذ اشخاص في الخارج - تحبل للهبة بتصميم بريء . ولقد اصبحت لائقة بتدبيرها في القسم النسائي من السجن . واخذت اشخاصاً كثيرين براسائلها التي استطاعت ايصالها الى اصحابها . ولكن بعد مضي سنة على هذا الحال اكتشفت احدى « الرسائل » وكانت هذه نهاية « وظيفتها » . »

« ثم هناك احديداً آد فيوشيل . اما الزوج فيكسج ، تهشمت وكبشه في الحرب العالمية الاولى ، واما الزوجة فضيفة الجسم وتمكبره بيتنا في سنوات . »

« اعتقل الزوج بعد اعتقال فوشيك مباشرة . ولله خفي فوشيك ان يشكم

لأنه يعرف الشيء الكثير . ولكنه لم يتكلم ولما اجتمع الزوج وفوشيك في اليوم الثالث من الاعتقال في غرفة الانتظار ، قبل الاستطاق ، نظر فوشيك اليه بقلق وتشجيع فاجابه بطريقة الزينية الصريحة .

« عندما ارش الكلام ظن يستطيعوا ان يحصلوا على شيء منها انزوا من الغرب على ظهري . »

« ثم اعتقلت الزوجة ، هي الاخرى ، بعد مضي شهر . »

« واتزوج الكثير من منا في السجن لأنها احد الذين كنا نتمنى بهم في الخارج . ولكنها لم تبيع بكلمة . »

« لم يغربها اليوليس ، فقد بلغ بها للرحي جيلنا جيل من للتجمل اساءة جاملها وابتعادها على قيد الحياة . الا انهم عذبوها بطريقة اخرى - عذبوها بالتعذيبات ، اذ انهم كانوا قد قتلوا زوجها قبل اعتقالها الى ان مسكر الاعتقال في بولندا - قبل في الاخذال الشاقة . فاقادوها الميوت زوجها وقالوا لها : « انظري هذه الحياة الشاقة التي تعصب على الرجل السلم اللامى . وزوجك كسبح لا يستطيع تحمل هذا . وجميع بيتا دون ان تربه مرة ثانية . واذا ما مات فمن تتخمي الحصول على زوج في سنك هذه ، ولذا كوني متفقة واخبرينا بما نطلبه ، وسنبيده اليك حالا . »

« فكانت تقول في نفسها : « سيوت حبيبي جوزيف ! ومن يدري اية ميته سيوت ؟ » . ولقد قتلوا اخي من قبل ، وسيقتلون زوجي الآن ، وسأبقى وحيدة ، وحيدة كل الوحدة حتى للموت . وقد يمدونه لئلا تمن . ولكن لا ان اسكون من يدع هذا الثمن . ولن يكون هو ذاته اذا عاد الي يهذه (الوسية) . »

« هذه هي الاممال التي وضعت حجر الاساس في بناء الدولة الشيكوسلوفاكية الحديثة ، وصفا لنا فوشيك في كتابه « مذكرات للشائق » وصفاً شاملاً ينبت منه الحاس والايان في الوقت الذي كان هو فيه ينتظر الموت بين ساعة واخرى . »

الحب والفرق

لقد جمع فوشيك افضل مرابي المناضل الثوري الجدير بالانتباه الى قافة المحررين : الاثار على النفس ، والكارالات والثقة بالشعب والامان انتصار قوى النور والتقدم على قوى الظلام والتأخر .

وقد احب فوشيك : احب وطنه وشعبه وحزبه ورفاقه واعماله في النضال واحب للمناضلين في سبيل الحرية تحت كل حاء . واحب الاتحاد السوفياتي خليفة قوى الحرية ووطن الاشتراكية حيث تحقق للثلى الأملى الذي سيم القديما . ووثق بوطن الاشتراكية قلة لا حد لها . ومن هذا الحب وهذه الثقة استمد كل قوته وثباته وصلابته وبطولته .

« فني اصعب الساعات التي مرت به في اقية التشذيب بين ايدي الجلادين : »

« ... في هذه الساعات نفسها الآن ، يخوض فلانين من البشر للمركة الاخيرة في سبيل تحرير الانسان ويستشهد الأوف في هذا النضال . وانا احد الشهداء . وما أجملها قصة ان اسكون احد جنود المركة الاخيرة (من جهة الطريق) »